كثور العذاب العود بضربه الندى ... تعالى الندى في متنه وتحدرا
فالندى الاول المطر والثاني الشحم • وقال معاوية ابن مالك معود الحكما
اذا سقط السماء بارض قوم ... رعيناها وان كانوا غضابا
ونحوه قال الراجز ... الحمد لله العزيز المنان ... صار الثريد في رؤس العيدان
يريد السنبل ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل
ليلة الى سماء الدنيا ثلث الليل الاخير فيقول هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر
فاغفر له هل من تائب فاتوب عليه • جعلته المجسمة نزولا على الحقيقة
تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا • وقد اجمع العارفون بالله تعالى
على انه لا ينتقل لان الانتقال من صفات المحدثات • ولهذا الحديث تاويلان
صحيحان لا يقتضيان شيئا من التشبيه • احدهما ما اشار اليه مالك ابن
انس رضي الله عنه وقد سئل عن هذا الحديث فقال ينزل امره في كل سحر
واما هو عز وجل فانه دائم لا يزول وسئل عنه الاوزاعي فقال يفعل الله
ما يشاء وهذا تلويح يحتاج الى تصريح • وخفي اشاره يحتاج الى بيان عبارة •
وحقيقة الذي ذهبا اليه رحمهما الله ان العرب تنسب الفعل الى من امر به
كما تنسبه الى من فعله وباشره بنفسه فيقولون كتب الامير لفلان كتابا
وقطع الامير يد اللص وضرب السلطان فلانا الف سوط وهو لم يباشر
شيئا من ذلك بنفسه انما امر به • ولاجل هذا احتيج الى التاكيد الموضوع
في الكلام • وقيل جاء زيد نفسه ورايت زيدا نفسه فمعناه على هذا
ان الله تعالى يامر ملكا بالنزول الى السماء الدنيا فينادي بامره •
وقد تقول جاء فلان اذا جاء كتابه او وصيته ويقولون للرجل انت ضربت
زيدا وهو لم يضربه اذا كان قد رضي بذلك وشايع عليه قال الله تعالى

فلم تقتلون انبياء

فلم تقتلون انبياء الله والمخاطبون بهذا لم يقتلوا انبياء الله ولكنهم رضوا
بذلك وتولوا قتلة الانبياء وشايعوهم نسب الفعل اليهم وان كانوا
لم يباشروه بانفسهم • وعلى نحو هذا يتاول قوله فاتى الله بنيانهم من
القواعد فهذا تاويل كما تراه صحيح جار على فصيح كلام العرب في محاوراتها
والمتعارف من اساليبها ومخاطباتها وهو شرح ما اراده مالك والاوزاعي
رحمهما الله تعالى • ومما يقوي هذا التاويل ويشهد بصحته ان بعض اهل
الحديث رواه يُنزِل بضم الياء وهذا واضح والتاويل الثاني ان العرب تستعمل
النزول على وجهين احدهما حقيقة والاخر مجاز واستعارة • فاما الحقيقة
فانحدار الشيء من علو الى سفل كقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها
من برد وكقول امرئ القيس
هو المنزل الالاف من جو ناعظ ... بني اسد حزنا من الارض اوعرا
واما الاستعارة والمجاز فعلى اربعة اوجه احدها الاقبال على الشيء بعد
الاعراض والمقاربة بعد المباعدة يقال نزل البائع في سلعته اذا قارب المشتري
فيها بعد مباعدتها وامكنه منها بعد منعه • ويقال نزل فلان عن اهله
اذا تركها واقبل على غيرها • ومنه قول الشاعر
انزلني الدهر الى حكمه ... من شاهق عال الى خفض
اي جعلني اقارب من كنت اباعده واقبل على من كنت اعرض عنه فيكون
معنى الحديث على هذا ان العبد في هذا الوقت اقرب الى رحمة الله تعالى منه
في غيره من الاوقات • وان الباري يقبل على عباده بالتحنن والعطف
في هذا الوقت بما يلقيه في قلوبهم من التنبيه والتذكر الباعثين لهم على
الطاعة والجد في العمل فهذا تاويل ايضا ممكن صحيح • واما الاقسام الباقية

Copyright © King Saud University